سلسلة ورقة بحث (٥)

دِيْنَامِيْكِيَّةُ العَقْلَيْن

ميثاق طالب كاظم الظالمي

بسم الله الرحمن الرحيم

لنبدأ بإثارة سؤال مفاده : **كيف يتعلم الإنسان؟**

سنجد أن الجواب الأقرب هو أن يتعلم ، فلو أردنا تعلم شيئاً عن شيء مُحدد فما نفعله هو أن ننظر أو نسمع أو نلمس ذلك الشيء لكي نكتب عنه بشيء من المعرفة . طبعا هذا في أُولى خطوات التعلم ، ولو سرنا خطوة اضافية أخرى سنجد أننا لا نُحيط بكل العلم فهنالك أشياء نسمع بها لكننا لا نعرفها فنحتاج الى أن نلتقط بعض الأفكار والمعلومات ممن أُتيحت له فرصة تعلمها ، كمعرفتنا بالقمر مثلا فلم نصعد عليه ولم تطأ أقدامنا تربته ولم نرَ الأرض من خلاله ، لكن كي نتعلم كل هذه الأشياء طبعا لا يسعنا إلا أن نقرأ ما كتبه أولئك الرواد الذين سافروا الى القمر وما دَوَّنه المُتخصصون من علماء الفلك ، ثم لو أردنا أثبات صدق قضايا مُعينة مُتعلقة بالقمر فإننا سنستحضر بعض تلك المعلومات أو كلها للوصول الى نتائج أكثر دقة . وكذلك نفس الأمر يتكرر مع كل علم أو أي افكار رياضية[1] أو علمية أو أدبية .

إن هذا النوع من العلم أسموه المناطقة بـ (العلم الحصولي) أي ما يستحصله الإنسان ببحثه تارةً أو من حسهِ أو أفكاره وتأملاته تارة أخرى .

---

١ أي تخص علم الرياضيات

فلو أردنا مثلاً أن نجد قيمة إضافة شيءٍ إلى شيءٍ آخر فإن تلك الإضافة ستكون حسية أولاً ثم تمر بمرحلةٍ معينةٍ ذاتية وداخلية في فكر الإنسان ليصل من خلالها إلى نتائج تلك الإضافة . المميز في هذه العلوم أن الحصول عليها حالة ممكنة للجميع ، وان تفاوت الناس في قدراتهم لتلقيها أو أنهم يكونوا ماهرين في استيعاب بعضها أو أقل قدرة في تقبل صورتها أحياناً ، والملفت للنظر أن الذي ينفع في زيادة هذا النوع من العلوم هو التكرار والهروب من الجهل ﴿النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا﴾[1] والصبر ورفع المجهولات من خلال تجميع التصورات والتصديقات الكافية في رفعها تدريجياً ليتحول ذلك المجهول إلى معلوم شيئاً فشيئاً ، وهذا ما ندركه عملياً وما نلمسه حسياً .

وهذا نوع من العلم إنما هو عقل ، وهذا المعنى ينطبق مع ظاهر الآيات القرآنية ومما أيدته الروايات الشريفة ، قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] وقال تعالى ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [3] وقال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ

---

١ نهج البلاغة : الحكمة ٤٣٨- ص : ٥٥٣

٢ البقرة : ١٦٤

٣ البقرة : ١٧١

إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١] وقال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[٢] وقال تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤] وقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٥ وقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾٦ ، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام ﴿وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ﴾[٧] وقال عليه السلام ﴿لا يُرى الجاهل إلا مُفْرِطًا أو مُفَرِّطًا﴾[٨] وعن الامام الصادق عليه السلام ﴿كَثْرَةُ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ يَفْتَحُ الْعَقْلَ﴾[٩] وعن أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَالْعَاقِلُ مَنْ وَعَظَتْهُ التَّجَارِبُ﴾[١٠] وفي وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم قال عليه السلام ﴿مَنْ تَرَكَ

---

١ النحل : ١٢

٢ الحج : ٤٦

٣ الفرقان : ٤٤

٤ العنكبوت : ٣٥

٥ الروم : ٢٤

٦ الروم : ٢٨

٧ بحار الأنوار ج٧٤ ص٢١٠ باب ٨- وصية أمير المؤمنين إلى الحسن

٨ بحار الأنوار ج١ ص ١٥٩ باب ٤- علامات العقل و جنوده .

٩ المصدر السابق

١٠ بحار الأنوار ج٧٤ ص٢٣٢ باب ٨- وصية أمير المؤمنين إلى الحسن

الِاسْتِمَاعَ عَنْ ذَوِي الْعُقُولِ مَاتَ عَقْلُهُ﴾[١] فظهر من خلال هذه الآيات الكريمة الكريمة والروايات الشريفة أنَّ هذا النوع من التعقُّل ممكن ومسموح للجميع في أن يستفيدوا من أي أمرٍ خارجي ظاهري نتيجته التعقل مع الأخذ بنظر الاعتبار الانضباط فيه وتقويم مصادره كالتجارب أو الالتقاط والمراقبة الافراطية أو التفريطية والناتجة من ترك الميزان التعقلي الحكمي أو ترك الاستماع إلى ذوي العقول وأهل العلم .

وكل هذه الدلالات ضابطتها واحدة وهي (البرهان) ولا نقصد من البرهان معناه المنطقي بأشكاله وأقسامه ، بل ما نقصده هو ذلك (الإيتاء التعقلي) الذي يؤتاه الإنسان من خلال كونه ذو علاقة وصلة فيما بينه وبين الخلق أو الموجودات الخارجية العاقلة وغير العاقلة [٢] . ثم إذا نظرنا إلى الآيات التي ذكرت البرهان من قبيل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [٣] وقوله تعالى ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٥]

---

١ بحار الأنوار ج ١ ص ١٦٠ باب ٤- علامات العقل و جنوده .

٢ وتسمية هذا العلم بالبرهان إنما بلحاظ الاستعمال ويؤيده قوله تعالى ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿الأنعام : ١٤٣﴾ مجموعاً مع قوله تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿النمل : ٦٤﴾

٣ النساء : ١٧٤

٤ القصص : ٣٢

٥ البقرة : ١١١

وقوله تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[١] فالنظر الأولي لهذه الآيات يُفهم منها إيتاءه من قبل الله تعالى لإتمام أمر بين محل إتيانه وبين الموجودات المنفعلة معه فصار العلم المتحصل عند الآخر هو ذلك العلم الذي جاء من الحقائق العالية ﴿بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ وذلك البرهان إنما هو حقائق جاءت من مكانٍ سامٍ رفيع مثالي فإذا استقر في محله صار علماً بين صاحب المحل وبين صلته وعلاقته مع غيره ممن له قدرة الإدراك والفهم والتعقل [٢].

وهنا ظهر العلم بين العقل وبين غيره ﴿مَنْ تَرَكَ الِاسْتِمَاعَ عَنْ ذَوِي الْعُقُولِ مَاتَ عَقْلُهُ﴾ فكان شكل الحقيقة هو البرهان وصورة العلم برهانية ، فلا حقيقة ولا علم من ذات الإنسان مطلقاً وأبداً إلا ما جاءت من مصدر الحقيقة ، إلا انها تتكثر بمجرد انفعالها مع الموجودات الخارجية ، وهذا التكثر سببه الاختلاف الخارجي ما بين تلك الموجودات [٣]، قال تعالى ﴿إِنَّ

---

١ الأنبياء : ٢٤

٢ لأن الآيات الشريفة التي ذكرت البرهان ألغت شيء اسمه الموجودات الغير عاقلة .... فتأمل

٣ يمكن ايجاز العلاقة بين المعرفة الانسانية والاختلاف الخارجي بما يلي :

الحقيقة بما هي نزلت من محلها الأرفع كحقيقة واحدة ـ لأن مصدرها واحد ـ على مخلوقات متكثرة مختلفة في الخارج فتعددت واختلفت صور الحقيقة فيما بين المخلوقات . والبرهان هو محاولة ارجاع صورة الحقيقة الموجودة عند الآخر الذي نختلف معه الى صورة الحقيقة التي عندنا ، أي محاولة ارجاع الحقائق المختلفة الى صورتها الأولية الواحدة التي نزلت بها ، فإن كنا نمتلك الصورة الصحيحة للحقيقة فالبرهان سيكون برهان الصادقين ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أما اذا كان السير

فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] إذن الحقائق موجودة وجاءت من محلها الأرفع إلا ان ما يجعلها صورة للتعقل هو اختلاف الموجودات الخارجية الذي يجعل تلك الحقائق (علمية تعقلية برهانية) وان هذا المقدار من العلم والتعقل لا يستلزمه الهداية والاهتداء بذاته ولا يمتلك القدرة على إصابة أعلى نقطة من الحقائق العالية وهو بحاجة إلى الموجودات الخارجية المختلفة التي تجعل الحقائق النازلة متعقلة وبرهانية وعلمية ، وهذا ليس نقصاً فيه إذ ان غايته المُحاججة وليس الاهتداء الذي له طريقه الآخر المختص به - والذي سنذكره لاحقاً بإذنه تعالى - وهو لا يصيب أعلى نقطة من تلك الحقائق إذ أنَّ ما يُجزى به وقدره المتيقن هو عرض الحقائق الصحيحة بدرجة من الدرجات كافية لتغيير طريقة التفكير عن الانحراف في خطها إلى صورتها المستقيمة المنضبطة وإن لم تدرك كل تلك الحقائق الرفيعة ، وإن ما يحفزه ويظهره هو الاختلاف في الموجودات الخارجية فيما بينها أو بينها وبين تلك الحقيقة النازلة ، كما هو واضح لمن يتأمل في آيات البرهان

باتجاه صورة مفترضة أدت الى أن يتخذ من دون الله آلهة فلن تعطي برهان الصادقين مهما حاول ارجاع صور الآخرين إلى الصورة التي يمتلكها ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ .

١ البقرة: ١٦٤

السابقة الذكر [١]. فظهر أن (العقل البرهاني) هو حقائق رفيعة المستوى هبطت كحقيقة واحدة من محلها الأرفع المعين لها غاية محددة في إظهار العلم والتعقل ، وهذا التعقل إنما يظهر بسبب اختلاف الموجودات الخارجية ، قال تعالى ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه﴾[٢] .

إذن العقل البرهاني (**هو ذلك العقل الذي يعكس القوانين العالية المحدودة بطريقة ترفع النقص في الرؤية للموجودات ، ويمتاز** - العقل البرهاني - **بقابليته على تشكيل تلك الحقائق وعرضها بهيئات وتراكيب علمية تنفعل مع الموجودات الخارجية لتنتج الاستدلال**).

ولو رجعنا إلى طريقة فهمنا للموجودات سنجد أننا أمام حالة تحصل لنا كثيراً نلتفت لها تارةً ولا نلتفت لها أخرى ، وتلك الحالة مهمة في عكس شيء عن الحقيقة إلا ان لها خصوصيات تتفرد بها عن غيرها ، ولأُقرب الفكرة بأمثلة على هيئة أسئلة مثارة:

كيف تفسر بعض الأفعال الصحيحة الصادرة من الانسان كاجتنابه لأمر قبيح أو ابتعاده عن أمرٍ سيء بلا مقدمات أو طرق استدلالية معينة؟ أو كيف نفسر إدراك بعض المفاهيم بطريقة تفوق ما وصلت إليها النتائج البرهانية؟ وكيف نفسر ظهور العلم في أعماق النفس بطريقة فجائية نتيجة

١ وتفصيل الموضوع يطلب من دروس الحكمة المتعالية .

٢ القصص : ٣٢

أعمال مخصوصة يفعلها الانسان؟ وكيف نفسر قوة البرهان أحياناً بسبب حالات التسامي الروحي؟ وكيف نفسر امتياز الكتب السماوية ـ بما هي هي ـ بمفاهيم ذات قوة وهيمنة على كل الأبعاد الانسانية ومشتملة لعلاجات لكل الخصوصيات النفسية؟ ولماذا الكتب السماوية ـ وأهمها القران له إعجاز وما هو إعجازه ؟

هذه الاسئلة وغيرها مما لم نذكره اختصاراً إنما هي أسئلة تُوحي للوهلة الأولى أنها من الممكن ان نجد لها تفسيراً ومن الممكن أن نجد لها حلاً لو استعملنا النتائج السابقة للعقل البرهاني ، إلا اننا ربما نُفاجأ بضعف هذه النتائج في إيجاد تفاسير مقنعة لهذه الأسئلة ، فإن أقصى ما يعطيه لنا ذلك العقل هو رفع النقص في رؤيتنا للموجودات بطريقة التراكيب العلمية الاستدلالية المقتبسة من الحقائق العالية المحدودة . وإن صناعة هذه التراكيب لإيجاد أجوبة لهذه الأسئلة هو مما لا يفلح به العقل البرهاني لسببين أوليين : الأول محدودية مصادر الاقتباس من جهة (وهذا يرجع إلى التشكيك في المفهوم الوجودي) ولأن صناعة هذه التراكيب مما يصعب تحصيله في العقل البرهاني لو حاول إيجاد أجوبة لهذه الأسئلة ، لأنها ستكون فاقدة في جزءٍ منها أو كلها لحلقة مفقودة أو حلقات ، وهو مما يتنافى مع العلمية المطلوبة في (العقل البرهاني) .

وقد ورد ما يشير إلى العقل مما يكون نافعاً للإجابة على هذا النوع من الاسئلة [١] ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿قُسِمَ الْعَقْلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ كَمَلَ عَقْلُهُ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلَا عَقَلَ لَهُ حُسْنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُسْنُ الطَّاعَةِ لَهُ وَحُسْنُ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ﴾[٢] وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ﴿لَمْ يُعْبَدِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ عَاقِلاً حَتَّى تَجْتَمِعَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ وَيَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ عُمُرِهِ وَلَا يَتَبَرَّمُ بِطُلَّابِ الْحَوَائِجِ قِبَلَهُ الذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوتُ وَالْعَاشِرَةُ لَا يَرَى أَحَداً إِلَّا قَالَ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَتْقَى﴾ [٣] وكذلك مثله حين سئل : ﴿مَا الْعَقْلُ قَالَ مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ﴾ [٤] وعنه النَّبِيَّ ﷺ : ﴿قِيلَ لَهُ مَا الْعَقْلُ قَالَ : الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَإِنَّ الْعُمَّالَ بِطَاعَةِ اللَّهِ هُمُ الْعُقَلَاءُ﴾[٥] .

كما أن الآيات القرآنية أشارت إلى هكذا نوع من التعقل :

---

١ اذا ما قارنّاها مع الروايات المتقدمة نجدها تتكلم عن عقل آخر يختلف عن ذلك العقل البرهاني .

٢ بحار الأنوار ج١ ص١٠٦ باب ٤- علامات العقل و جنوده .....

٣ بحار الأنوار ج١ ص١٠٨ باب ٤- علامات العقل و جنوده .....

٤ بحار الأنوار ج١ ص١١٦ باب ٤- علامات العقل و جنوده .....

٥ بحار الأنوار ج١ ص١٣١ باب ٤- علامات العقل و جنوده .....

قال تعالى ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[١] وقال تعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٢] وقال تعالى﴿ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [٣] ورأس الخيط في هذا الاستدلال قوله تعالى ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[٤] وكذلك قريب منه قوله تعالى﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٥] ..... فتأمل .

ولو تأملنا فإنّ هنالك حالات من التعقل تؤدي الى الهداية لو قارنّاها بالآيات التي ذكرت البرهان فلا نجد هنالك تصريح واضح بأن الهداية ملازمة للبرهان كما نجدها واضحة في مستويات عالية من الهداية مع النور ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[٦] وقال تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[٧] فظهر أن هنالك عقلاً له مستوى من تعقل الامور

---

١ يونس : ١٠٠ فالرجس في الآية له مفهوم معنوي ومتعلق بعوالم الكمال النفسي من جهته السلبية وقد وصف القرآن الكريم هذا المفهوم السلبي بالتعقل ﴿لاَ يَعْقِلُونَ﴾ وهو بعيد الحمل على العقل البرهاني .

٢ العنكبوت : ٦٣ فالحمد سلوك ليس له علاقة ورابطة بالعقل البرهاني ...... فتدبر .

٣ المائدة : ١٠٣ وهي أعم من العقل البرهاني والنوراني .

٤ البقرة : ١٧٠ ويظهر في هذه الآية عقل يلازمه هداية وهو غير العقل البرهاني الذي لا تلازمه الهداية غالباً ، أذ أنَّ له غايات أخرى أكثر ظهوراً تم بيانها في طيات البحث .

٥ الحشر : ١٤

٦ المائدة : ٤٤

٧ المائدة : ٤٦

الامور بطريقة خاصة لا من خلال تركيبات وهيئات علمية استدلالية ، بل هو حالة من الاستنارة والنور الذي يشرق في كوامن الانسان نستطيع ان نصطلح عليه **(العقل النوراني)** والامر الملفت للنظر في هذا الاصطلاح هو لفظ العقل ، فإن ذلك النور هو عقل وهو صورة من صور التعقل الانساني[1] الانساني[1] .

لذا يمكن القول أن العقل النوراني **(هو ذلك العقل الذي يكون محلاً للحقائق العالية والقوانين المتسامية بطريقة تكشف عن حقائق الموجودات المستلزمة للهداية ولا يمتاز بنفسه على تشكيل وتركيب هيئات استدلالية إلا بمعونة العقل البرهاني)** .

ديناميكية العقلين البرهاني(العلمي) والنوراني (الإهتدائي)

ونحاول ان نطرح هذه الديناميكية بشكل اسئلة نثيرها ضمناً لتسهيل تلقي الافكار :

هل العقل بقسميه المصطلحين مفتوح للجميع ؟

---

١ راجع البحث مفصلاً في كتابنا (بين التوهم والتعقل)

أما ما يخص البرهاني فقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1] والظاهر من الآية أنه بحسب الاقتضاء هو كذلك - أي ان له فرصة النيل من الجميع لعموم الخطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ولسعة المخاطَب بقوله ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وكذلك ما يخص النوراني قوله تعالى ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [2] ولا يخفى على القارئ الكريم عموم الخطاب كما في الآية الأولى .

ولو تقدمنا خطوة اخرى في طرح الأسئلة فنقول :

على ماذا يتوقف انضباط واستدلال العقل البرهاني ؟

بعد التدبر في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[3] سيظهر توقفه على امور متعلقة بنفي الشرك الجلي ونيل الحقائق العالية . ولتوضيح الفكرة وتقريبها بشيء من التقريب نقول :

نفي البرهان في الآية لا يعني ابتداءً سوى عدم تحصيله وحرمانه منه رغم تحقق مقدماته الإقتضائية بما هو أداة علمية كشفية بالاستدلال ، إلا أن النتيجة الملفتة للنظر والتي عرضتها الآية الكريمة أظهرت لنا أن مفهوم التوحيد وفهم التوحيد على المستوى الحكمي والفلسفي أو على المستوى

١النساء : ١٧٤

٢ إبراهيم : ١

٣ المؤمنون : ١١٧

العقائدي والإيماني له مدخلية ضرورية في صياغة معادلة المعرفة البرهانية ، إذ لا معنى للاستدلال بلا استقراء وإدخال كل متغير محتمل في صياغة صورة البرهان . هذا كدرجة أولية ، أما ما أرادت الآية بيانه فهو أمر اعمق من الدرجة المذكورة ، فالتوحيد ونفي الشرك هو المرتكز لتلك المعادلة المعرفية ، بل هو كلها . ولا يقال بكيفية تحققه ابتداءً رغم توقف البرهان عليه لأنه لا يخفى حينئذ دور العقل النوراني في تثبيته وإيجاده في طول معادلة المعرفة .

وبهذا يمكن الاشارة بهذه العجالة لديناميكية العقلين من حيث التأسيس والاستدلال والانكشاف ، فبعد استقلال كل منهما بحيثياته إلا أنّ هنالك ظرف جامع لتلك الحيثيات المختلفة بديناميكية تظهر بالاستقلال الصوري لكل منهما تارة وللعلاقة التوقفية بينهما تارة أخرى . ولذا نجد استدلالات الأئمة عليهم السلام من أرقى وأتم الاستدلالات لجامعيتهم للعقلين وبأعلى المراتب بخلاف غيرهم ممن ارتكز على العقل البرهاني فإنه مهما كانت النظريات والاستدلالات مبهرة ومتينة فإنها ستظهر هزيلة وذات نقاط ضعف بعد التأمل لافتقارها للعقل النوراني .

ويستمر البحث عن إجابات ما دامت الأسئلة المتسربة من السير في خطوات الحركة العلمية للذهن البشري في محاولة لرسم كلا الصورتين

للعقلين . وكما عرضنا استفهام التوقف في مفهوم العقل البرهاني نجدد السؤال على متعلقه من العقل النوراني : **فعلى ماذا يتوقف الأخير ؟**

ولا يخفى الانطلاق من نتيجة الاستدلال على علاقة العناصر الثلاثة (العقل ، العلم ، النور) والتي اشرنا لها لماماً تاركين بيانها بتفاصيلها على فطنة القارئ. فإذا حُسِم في وجداننا علمياً هذا الأمر صارت الآيات التي ذكرت مفهوم **(النور)** وحقيقة النور هي المنطلق فيما سنذكره لاحقاً .

ولنرجع إلى أصل الفكرة في الاجابة على علل التوقف ونذكر بعضها ونترك تفصيل الافكار لبحوث أوسع ، فمنها :

شرح الصدر : قال تعالى﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [1] وقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾[2] **ومشيئة الفرد المتوقفة على مشيئة الله** : قال تعالى ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[3] وقال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [4] وقال تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[5] **والصبر:**
والصبر: قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ❖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا

---

١ الزمر : ٢٢

٢ طه ٢٥ – ٢٨

٣ النور : ٣٥

٤ التكوير : ٢٩

٥ النور : ٤٠

لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ❖ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١] وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٢] وكذلك **معلوليته للكتاب الكريم** ، قال تعالى ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٣] وكذلك **التأييد والنصرة لأولياء الله تعالى وقادة الحق** فإنّ لهم نوراً خاصاً ، قال تعالى ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤] وقريب منه **الرحمة فهي** من أهم مصادر النور ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[٥] **والايمان والعمل الصالح** ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٦].... الخ من الموارد التي تركناها تجنباً للإطالة .

متعلق الخطاب النوراني والبرهاني

---

١ البقرة ١٥٥- ١٥٧

٢ الأحزاب : ٤٣

٣ إبراهيم : ١

٤ الأعراف : ١٥٧

٥ الحديد : ٢٨

٦ الطلاق : ١١

قال تعالى ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه﴾[١] فالبرهان إلى فرعون وملئه إشارة إلى المحاججة عليهم ولا ضرورة لهدايتهم بالبرهان كما هو واضح في هذه الآية الكريمة ، ويؤيد نفي ضرورة الملازمة بين النور والبرهان قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[٢] فلا معنى للحمل على العطف لاختلاف الفعل ، وكذلك وكذلك خصوصية الفعل ﴿جَاءَكُمْ﴾ التي لا تدل على العلو بخلاف ﴿أَنْزَلْنَا﴾..... فتأمل .

وأود التنبيه هنا إلى ان البرهان والنور لا يخلوان من تأثير أحدهما على الآخر ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[٣] ويؤيده ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال ﴿يَا هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ [٤] وَأَفْضَى إِلَيْهِمْ بِالْبَيَانِ وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّةِ فَقَالَ ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ

---

١ القصص : ٣٢

٢ النساء : ١٧٤

٣ النساء : ١٧٤

٤ اشارة إلى العقل النوراني لأن الحجة عقل برهاني فالعقل الذي يشير له الحديث غيره ..... فتأمل .

وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[١] ولا يخفى يخفى مدخلية العقل النوراني في إظهار التوحيد ابتداءً باستدلاله عليه السلام بقوله تعالى ﴿وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ﴾ ثم السير بعوالم البرهان لنيل نتيجة التعقل الشمولي ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

هذه بعض الآيات والروايات ذكرتها باختصار ويظهر فيها أن العقل النوراني هو **عقل اهتدائي واضح الرؤية وانكشافي ، وهو نزول للحقائق من مخزوناتها** ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[٢] أما البرهاني فهو **عقل احتجاجي واضح البيِّنَة ، وهو انعكاس للحقائق ومجيئها وليس نزولها**، والمجيئ في مقابل النزول يدل على أن الحقيقة لا تنحصر بمحال رفيعة بخلاف الأول.

وما أود ان اختم به هذا الحديث المختصر عن ديناميكية العقلين هو معيار الانضباط والاستعمال الآني الظرفي لكل منهما ، فما يمكن عرضه هنا اختصاراً في المختصر هو الرجوع والاهتمام بالالتقاطات المزامنة والمصاحبة للحالات السلوكية المتقدم ذكرها كعلل أولية للعقل النوراني ، وتبويبها كقضية كشفية نورانية إيحائية للعقل البرهاني الذي لا ينفك متوسلاً بالمحاجحات العلمية والاستدلالات البرهانية والسير المنطقي لاقتطاف النتائج

---

١ بحار الأنوار ج١ ص١٣٢ باب ٤- علامات العقل و جنوده .....
٢ الحجر : ٢١

النهائية من ذلك السير التحقيقي المحكوم بلغة الوضوح المقدسة وروحها المتسامية .

ولا يغفل القارئ الكريم أن النتائج العلمية المتحققة على يد من لم يؤمن بالقضايا الإيحائية كنتيجة لومضات العقل النوراني إنما هي اجابات عن نصف السؤال وبقي النصف الآخر الذي عجز عنه ذلك الدليل لا لصعوبة نيله عقلاً فحسب ، بل لأنه تقنياً له موضوعه المستقل ، أو أنه يمثل جزء الموضوع للموضوع الكلي للعقل البرهاني ، وعلى اساس فقدان هذا أو ذاك لا نحصل إلا على نصف الإجابة لا كلها . وما نجده اليوم مما يسمى علمياً **(الأسئلة التي ليس لها حل)** ليست إلاّ أسئلة ليس لها حل بالعقل البرهاني ولها حل واضح في معادلة المعرفة الكاملة والمحكومة بديناميكية العقلين البرهاني والنوراني .

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين